وعند ما انتهينا من ترجمة هذه المقالة دخل علينا زائراً أحد افاضل الاساتذة فاطلعناه عليها فصفق فرحا وارتياحا وقال : « اقسم بالله انه لو عُرضت هذه المقالة على حكام الشرق وارباب الاعمال فيها ونظار مدارسها لقالوا فوراً : ان هذا من قبيل قولهم : حديث خرافة يا ام عمرو »

البطولة

لحضرة الأستاذ الجليل صاحب الامضاء

بالرغم مما نعانيه من أوجاع الزمان وتصاريف الغِيَر فأن في نفوسنا دائماً شعوراً يبث فينا روح الوقوف في وجهها ومجالدتها

ولقد فهم الناس البطولة من قديم على معان شتى مع انها لا تخرج عن وصول المرء الى منتهى ما يمكن أن يبلغه مجهوده في حرب الزمان

وما كان الاقدمون يعرفون غير القوة لدفع غوائل الاذى والشرور فأصبح حبهم للقوة بالغاً حد العبادة حتى ولو ولّدها الشر أو كانت صفة من صفات الحيوانات المفترسة

ولكن بمجرد أن بزغ فجر الرأي دالت دولة الشجاعة التي لم يكن سلاحها غير القوة . نعم ان من الناس من لا زالوا تعنو جباههم لسيف القوي يتألق بريقه من خلال الدم ولكن التاريخ لم يعد يحفل بمثل هذا النوع من الاقوياء فاصبحوا ابعد الناس عن البطولة

ولقد كان يعد من الابطال من دفعهم ذكاؤهم وقوة بطشهم الى أذى الناس فغرسوا من بينهم بذور الاحزان وسقوها بسيول الدموع . ولكن الابطال في الحقيقة هم الذين دقت مشاعرهم وصفت قلوبهم واشتعلت خواطرهم فغيروا وجه الارض بغير ان يسفكوا دماً او دمعاً بالنزول الى ميدان القوة الغاشمة

لهذا يمكن تعريف البطل بالرجل الكامل في مجال العظمة . ان الطبيعة لا تخرج في حركاتها عن كونها اثراً من آثار الرأس او القلب او اليد . فالبطل اذن

هو من سما الى ذروة الذكاء البشري والاخلاق الفاضلة وكان قديراً على تحقيق آثارهما

واذا كان البطل في العصور الاولى خلا من هذه الصفات مجتمعة فلأن الناس في ذلك الزمان كانوا يكتفون في الحكم على البطل ببعض هذه الصفات . ففي عصر أشيل مثلا لم يكن للرأي نقط ارتكاز تساعده على الخروج إلى ميدان الظهور حتى اغفل اهل ذلك الزمن بطولة الحكماء والمفكرين وكذلك كان الأمر في عهد قيصر من حيث الاخلاق اما القوة فكان لها ولا يزال شأن لأن الانسان مهما شرف بالعقل والرحمة فلا بد له من العمل حتى يفيض على الناس من حسنات آثارهما

ولو اننا اردنا أن نتخيل صورة صحيحة للبطل لوجب علينا أن نطلب عنده سلامة الرأي والشجاعة والطيبة . وهكذا تراه يعطف على الاحياء ويمقت كل ما يجر عليهم الشقاء والحسرات . لا يتأخر عن الجهاد إلى آخر دقة من دقات قلبه لنصرة الحقيقة والعدل ولو كان في ذلك هوانه او هلاكه . واذا بعد عن الغاية لا يقف امام سكرة المجد العنيفة أو سكرات الفوز الموجعة بل يحتال على قهرها بالرياضة والصبر والاحتمال .

وكذلك في ساعات ضعفه سواء أكانت لأنه اسرف في حسن ظنه بالناس أو تسرع في فهم ما هي عليه طبيعتهم من انحطاط النفس او خدعته مظاهر الطبيعة البراقة فأنه حتى في تلك الساعات العصبية ينسى نفسه وينكر ذاته حباً في بني جنسه من غير أن يتطرق اليه التباهي او الزهو

على اننا اذا خرجنا من حلم الخيال إلى يقظة الواقع لا يصح أن نطلب مثل هذا الكمال عند ابطال التاريخ السالفين فقد يجر تحليل خلالهم علينا خطر فقدانهم لأنهم في الحقيقة عمدوا إلى سلاح القوة دون فضيلة الرأي وشرف التفكير فخرجت بطولتهم من قبضة أيديهم لا من قلوبهم ولا من رؤوسهم .

وقد يتسلل بعض المجترئين إلى ميدان البطولة تحت ستار يخدع الناس فهؤلاء سواء أكانوا جبابرة او نوابغ اشربت نفوسهم حب الشر يجب علينا أن نقصيهم

عن هذا الميدان وأن جر ذلك علينا حقد السنين

واذا رجعنا مرة أخرى إلى ماذكرنا من الصفات رأينا قوامها الرحمة ومظهرها الرأي تعمل القوة على تحقيقها فتعرى من خصته الطبيعة بها بحمل في حنايا ضلوعه قوة خفية دفاعة . وقد تكون غاية هذه القوة الطمع الشخصي . ولكن البطولة اسمى من ذلك لارتكازها على مبدأ الحب الذي هو المنهل الصافي للاحسان مهما كانت وجهة هذا الحب لله او الوطن او للأسرة او للناس

ومع ذلك فأن حب الاسرة مهما جر إلى التفاني فأن العمل الذي يدفع اليه لن يبلغ مستوى البطولة. فالام مثلا قد تركب الأخطار وتتعرض للأوجاع دفاعا عن صغيرها . ولكن مهما كان في ذلك من جمال وعظمة الا انه اقدام نشأ عن طبيعة تركيبها لان كل ام خلقت لتكون هكذا . فتلك في الواقع غريزة وليس فضيلة . غريزة تجدها حتى عند أنثى كل حيوان لأنها سنة شرعها الكون لوقاية النسل .

لذلك كانت دائرة حب الوطن تشغل فراغا اكثر من الفراغ الذي تشغله دائرة حب الاسرة لأن حب الوطن لا يرتبط التفاني الذي ينشأ عنه بالغرائز وانما يرجع إلى تلهب منشأه الارادة والتفكير

على أن هنالك ايضاً روابط طبيعية تصل الأنسان بالوسط الذي هو فيه كرابطة اللغة وغيرها ولذلك اذا نظرت إلى جماعات اخذك الظن بأن حب الوطن عندها ليس إلا مظهراً عاديا من مظاهر الغريزة ولكنه في نفوس خاصته يرق ويلطف إلى حد يصبح معه كالروح تقذف بها إلى جلائل الاعمال ومواقف البطولة

ثم أن لكل عظمة مجهودا تستند اليه. مجهود يخلقه حب الانسان لبني جنسه . ولكن قد تكون الحاجة شديدة إلى احساس دقيق وشعور تام او الى عرفان غزير يجعل الانسان لا يقف في العطف على مثيله عند حد اللغة او المكان أو غيرهما فلا يتقيد بقيد ما لأعتبار الانسان مثيله وان كان لا يتكلم لغته او كان من غير مواطنيه حتى ولو اختلفا في اللغة او اللون

نعم من الطبعي أنه يؤثر اولا من تجمعه واياه تلك الروابط التي يتولد عنها عادة شعور مشترك

ولكن مهما كان من أمر تلك الروابط فانها لا يصح معها أن يقسو الانسان على من ابتعد عنه بسببها لأن من مميزات العظمة أن يكون الشعور المتولد عنها كاملاً أينما حل

وقد يخدم الانسان وطنه بغير أن ينال المعمورة مع ذلك أي أذى من خدمته له فأن غليوم تيال حينما غصب اعداءه جباله ونظر اليها والى بحيراتها التي كدرت صفاءها نظراتهم لم يفكر في غير سويسرا موطنه وليس في الناس من يلومه على ذلك ولكنه حين فاضت به نفسه وهب لنصرة مواطنيه خدم الانسانية ايضاً وهو لا يشعر اذ ضرب للخلائق مثلا كان قاسياً على المعتدين غير انه كان برداً وسلاما على البائسين المغصوبين

على أن هناك ظروفا أخرى تأخذ في الاتساع كلما اتسعت فكرة العمل لخير بني الانسان بحيث لا يكون الوطن هو القالب الوحيد الذي تصب فيه البطولة . فأن سقراط حين عرض نفسه للموت لم يخدم غير غرض جديد نبيل من اغراض الاخلاق وكذلك طبقة الكاراس لما حاولت الوقوف بين الهنود وبين ما كان يصب على رؤسهم من صنوف العذاب فأنها لم يدفعها إلى المخاطرة في هذا السبيل وطن أو مذهب او لغة وانما عز عليها أن لا يصل كل مفكر إلى ثمرة جهاده وان يرفع الحيف عن كل فقير مظلوم حتى أن عدداً لا يحصى من العلماء والفنانين لم يحجموا عن التهالك في سبيل الحرص على ارائهم والدفاع عن مبادئهم فهؤلاء جميعاً هم أبطال لأن غرضهم كان يجري خلف الحقيقة ووراء الجمال وما كان نفعها يعائد الا على العالم بأسره

هكذا اذا كان هناك حب يصح ان يخلع على الانسان حلة المجد والنبل وينقله من مضائق المعمورة الى فسيح سمواتها فانما هو حب المبدأ الذي هو معنى خفي من معاني الطبيعة وأحكامها . هكذا اذا أخلصت النفوس من شوائب النقص وسلمت من آفة العيوب وأخذت تسمو حتى بلغت أرفع ذروة من سماء الكمال

يجب عليها اذا هبطت على الناس أن تهبط وقلبها يفيض بالرحمة وعلى شفتيها ابتسامة الحب . يجب عليها أن تستمد من شمائلها قوة تضرب بها على يد الظلم وتطهر النفوس من دنس الآثام وتعزي المغلوبين

ربما كان ذلك من واجب القديسين وأهل التقوى ولكنهم في الغالب يسدون أذانهم عن كل مايكدر سكونهم في تأملاتهم ويطفيء شعلة نفوسهم في صلواتهم .

وليس البطل مثل هؤلاء يسجن نفسه ويحبسها لأن من واجباته انهاض المجتمع ونفعه سواء أكان مبدأ قيامه به حب الله أو حب الناس .

ومع ذلك فهل من حرج اذا رفع عينيه إلى السماء او استغرق في احلام العبادة ما دام يمد ساعديه دائما لمعونة الناس

ان النبوغ متى تجرد عن الغرض كان وحيه سلاما

١٨ يونيه سنة ١٩٢٥ محمود خيرت

بسكرتارية مجلس الشيوخ

حِكَم وكلمات جامعة

« مترجمة بقلم فقيد العلم والأدب فتحي زغلول باشا »

لا بد للنهر من ضفتين تحصران مياهه ، فكذلك الاجتماع لا بد له من وازع

أهم الوسائل في هدم مبدأ السلطة إلفات الناس الى ما لهم من الحقوق واغفال تذكيرهم بما عليهم من الواجبات ؟ فكل على استعداد للأخذ بالأولى وقليل يأبه للثانية

لا يكفي أن تهتم الحكومة بمنافع الأمة المادية ، بل لا بد من العناية أيضاً بآمالها

السلطان الأدبي لا يقاوم بالقوانين ولا بالجنود

ينبغي للوازع أن لا يشارك قومه في شهواتهم ، وانما يجب عليه أن يكون على علم بها